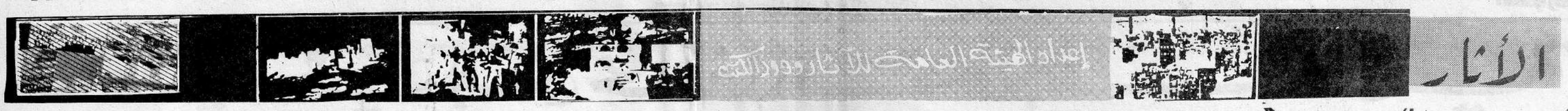

حضارة العصر النحاسي في الجمهورية العربية اليمنية

البعثة الأثرية الإيطالية

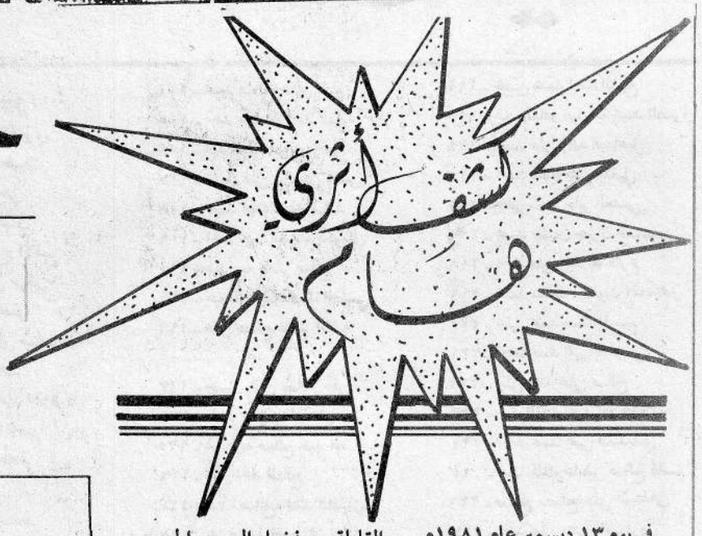

في يوم ١٣ ديسمبر عام ١٩٨١م ، بينما كنا نقوم بجولة استكشافية قصيرة لأثار المنطقة الواقعة بين صنعاء ومأرب في اطار البحث عن المخلفات الثقافية للمملكة السبئية، عثرنا على بقايا موقع كبير كان يبدو جليا انه يرجع إلى فترة ماقبل التاريخ ولم يكن له مثيل في الاثار المعروفة حتى ذلك الحين في جنوب جزيرة العرب . .

كان هذا الموقع مستوطنة سكنية كبيرة تبلغ مساحتها أكثر من هكتار ويقع على مرتفع منبسط عند أسفل جبل العرقوب في خولان الطيال وسمي بالرمز (WYi) نسبة إلى وادي يناعم القريب من الموقع . .

ويختلف الموقع اختلافا جوهريا من حيث مخططه أو فن تشييده عن المستوطنات السبئية الأخرى، ومنشاته عبارة عن صفوف متينة من كتل جرانيتيه طبيعية وراسخة في الارض وتتصل هذه المنشآت ببعضها البعض مكونة مناطق دائرية مستقلة تتراوح اقطارها بين ٢٠-٣٠ مترا وتبدو مخططاتها الاساسية اما دائرية الشكل أو اهليجية أو شبه مستطيلة ويتخلل محيطاتها مدخل أو أكثر وتقوم في وسطها كتلة أو كتلتان منفردتان . .

وتشير المجموعة الضخمة من المصنوعات الحجرية المتعددة التي تم اكتشافها على سطح هذا الموقع بأننا امام مستوطن كبير يرجع إلى اواخر العصر الحجري الحديث ، بيد أن الذي أدهشنا حقا هو وجود نسبة عالية من الفخار الذي يختلف كل الاختلاف عن الفخار الذي بدأنا بجمعه وتصنيفه في العديد من المواقع السبئية على المرتفعات وكذلك . . يختلف عن الكمية القليلة من فخار العصر الحجري الحديث حتى ذلك الحين في اليمن . . ويمكننا القول ان هذه المجموعة تعتبر جديدة للغاية ولايمكن أن ترجع الا للفترة الواقعة بين العصر الحجري الحديث والعصر السبئي ويتأكد افتراضنا هذا بوجود تماثل بينها وبين مجموعة (Caliciform) المكتشفه على سواحل المشرق والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأبيض المتوسط . .

وتجدر الأشارة إلى ان البعثة الأثرية الايطالية التابعة لاسميو (ISMEO) تقوم بتنفيذ برنامج للتعاون الأثري في الجمهورية العربية اليمنية على نفقة ادارة التعاون والتنمية بوزارة الخارجية الايطالية في اطار الاتفاقية الثقافية الثنائية المبرمة بين الحكومتين اليمنية والايطالية . . وقد قامت البعثة منذ عام اكتشاف موقع (WYi) بحملتين استكشافيتين إلى المنطقة الواقعة شرق الطريق (صنعاء - ذمار) مابين منحنيات المستوى ٢٠٠٠-٢٣٠٠م فوق مستوى سطح البحر ، وتمخضت هذه الأبحاث عن اكتشاف العديد من المواقع المشابهة لموقع (WYi) وعلى ضوء تحليلات المنشآت والفخار والمصنوعات الحجرية وكذلك التنقيب في بعض المواقع النموذجية تبينت لنا صورة واضحة بعض الشيء، وإن لم تكن كاملة بعد، لسد الفراغ الذي يلاحظ دائما بين فترة العصر الحجري الحديث والفترة السبئية . .

وهذه المستوطنات المكتشفة حتى الان في مرتفعات اليمن الشرقية تقع مباشرة إلى الشرق من طبقة الاحجار الرملية الجيولوجية للعصر الثلاثي - الطباشيري (مجموعة طويلة Tawilah) (group وتمتد من جبل الطيال شمالا إلى السهل الحممي الرباعي الواسع لجبل اسبيل جنوبا . . وتقوم معظم هذه المواقع على القاع الجرانيتي القبكمبري (متعلق بفترة ماقبل العصر الجيولوجي الكمبري) على امتداد الخط الذي لايبتعد بتاتا عن حد الصخور الرسوبية التي تشمل أيضا الهضبتين الجوراسيتين الجيريتين الواسعتين والمتباعدتين (سلسلة عمران) (AMRAN Series) لسحمان والعرقوب شمالا ولضلاع الاعماس وبني بخيت جنوبا . .

وفي الواقع ان هذه المستوطنات تقع بالقرب من الوديان التي اتخذت من تصدعات الارض الناشئة بفعل الحركات التكتونية مجارى لها وهي من الشمال =وادي حورة وادي احنيش ، وادي كريب، وادي يناعم ، وادي النجد الأبيض، وادي نجاد، وادي ريغة ، وادي رخامة، وادي عش، أو عند وديان محفورة على شكل وهدة أو منخفض على الصخور الرسوبية الجيرية مثال وادي حبابظ ووادي بني عيسى . .

كان الهدف الرئيسي للأبحاث في عام ١٩٨٤م هو الاستطلاع الكامل للمواقع الكائنة على امتداد الانكسار الشمالي - الجنوبي عند سفح جبل العرقوب (وادي حوزة) وادي النجد الابيض . . ووادي صويحان) وكذلك على امتداد فروعه الشرقية والغربية (وادي يناعم، وادي التبيله، وادي نجاد) ولقد تزامن المسح الجيولوجي مع الابحاث الاثرية وبدأت تتضح أولى الحقائق عن حالة البيئة القديمة وعلى ضوئها توصلنا إلى النتائج الأولى فيما يتعلق بأوجه الاقتصاد القديم للشعوب التي عاشت في منطقة خولان الطيال قبل العصر السبئي . .

بطبيعة الحال علينا أن ننتظر نتائج تحاليل العينات المأخوذة من الجدر السميكة والمتحاتة للرواسب الغرينية من أجل الحصول على معلومات وحقائق دقيقة بشأن الطبقات وتحديد التواريخ بصورة أكثر تأكيدا . . ومع ذلك ، وبفضل العمل الذي قام به الدكتور ماركولونجو (MARKOLONGO) في المنقطة ، يمكننا أن نقرر بأن الأودية في تلك الفترة كانت تسودها ظروف رسابية معينة ملائمة للاحتفاظ على شكل دائم بالرطوبة المنبثقة من طبقات المياه الجوفية في الكتل الجيرية الواقعة إلى الغرب من طبقات المياه الجوفية في الكتل الجيرية الواقعة إلى الغرب . ولقد أدركت شعوب المنطقة هذه الظروف المؤاتيه وقامت بنشاط زراعي مزدهر تأكده ، كما سنرى ، المعطيات والحقائق الاثرية المكتشفة . .

تمكنت البعثة اثناء ابحاثها هذه من اكتشاف حوالي ٢٥ موقعا على طول الانكسار الممتد من العروش إلى العرقوب وترجع هذه المواقع إلى نفس فترة الموقع وخلافا لما هو الحال اليوم حيث لايوجد في المنطقة حاليا غير قرينين فقط هما (بني الطوق والهندية)، الا ان الرواسب الغرينية تبين لنا أهميتها في تأمين ودعم كثافة سكانية عالية في تلك الأزمنة القديمة . ولم تبق من هذه الرواسب الغرينية اليوم سوى شرائط متقطعة على ضفف الأودية أو على شكل جزر متحدرة الجوانب في قيعان الأودية الحالية . . وعليه فان هذه المستوطنات لا توجد بتاتا اسفل مستوى الرسوبيات القديمة وانما اعلاه على جدران الأودية، أما مباشرة على ضفافها أو بعيدا عنها على التلال الجانبية في منطقة مستجمع المياه ، واما عند بداية الأودية القصيرة الثانوية . .

لقد اظهر المجس الاختباري الذي قمنا بحفره في موقع النجد الابيض أن تسلسل الطبقات الطبيعية في الأودية الرئيسية يتكرر فيها بنفس النمط ولكن بمستوى منخفض في الأودية الجانبية . . وتعتبر هذه الملاحظة هامة جدا لأنها تمكننا من ربط الموجودات الأثرية إلى الظواهر الرسابية، وقد استطعنا بالفعل ان نبين على وجه الخصوص ان منشآت عصر ماقبل التاريخ بالموقع (طبقة٢) كانت تعاصر مستوى التربة الغنية والاكثر انتاجا للاغراض الزراعية ، وهي الطبقة الرسابية الرفيعة الناشئة بفعل الرياح والمخصبة باستمرار بواسطة المياه القادمة من جبل العرقوب، والمدعومة بالطبقات الطينية الغير منفذه للماء في المستوى لاسفل (طبقة٣ بالموقع - العصر الحجري الحديث) . .

أما اختيار مواضع هذه المستوطنات داخل هذه البيئة فيرجع اساسا للأسباب الآتية :

١- الحاجة إلى استغلال منطقة زراعية معينة . .

٢- وفرة مواد البناء وسهولة الحصول عليها . .

٣- ملاءمة الموقع للأغراض الدفاعية . .

ويتبين لنا المطلب الأول بملاحظة المسافات البينية المنتظمة التي تفصل بين المواقع على طول الاودية . . وفي هذا الصدد تجدر الاشارة إلى القول أن هذه المستوطنات من الممكن تقسيمها إلى نوعين من المواقع وفقا لمساحتها . .

أ- مواقع صغيرة تقل مساحتها عن ١٠٠٠مترم.

ب - مواقع كبيرة تزيد مساحتها عن ١٠٠٠مترم.

ويوجد النوع الثاني من المواقع على امتداد الأودية وتفصل بينها مسافات بينية منتظمة وكبيرة الى حد ما وتشرف كما يبدو على مناطق معينة حيث تنتشر مواقع النوع الأول الصغيرة. ومن الواضح أن هذا النظام لم يكن اعتباطا وربما كان يعكس وظيفة ما لها علاقة بالاستغلال الزراعي في المنطقة . .

وقد يجوز الانحراف بعض الشيء عن المطلب الأول والهام الذي يحكم الاختيار الامثل لمواقع المستوطنات وذلك بهدف تحقيق المطلب الثاني وهو وفرة مواد البناء وسهولةالحصول عليها . . ولايبدو هذا المطلب صعبا في حد ذاته نظرا لطبيعة المنطقة الصخرية، ومع ذلك نرى في اغلب الحالات ان المواقع تشحذ مواضعها على منحدرات تبرز فيها عروق (حواجز) صخرية أو كما هو الحال بالنسبة للعدد القليل من القرى الواقعة على الهضبة الجيرية نراها تشيد على الدرجة المتكونة بواسطة مقدمة طبقة رسابية . ويساعد هذ الاسلوب في توفير الصخور الجرانيتيه كما يساعد على أية حال في تأمين وفرة المواد التي يمكن فصلها بسهولة ونقلها عبر المنحدر لتشييد قواعد وأساسات المساكن الاهليجية أو شبة المستطيلة وهذا بدوره يساعد في تحقيق المطلب الثالث الخاص بالامكانية الدفاعية وذلك بتوفير حماية خلفية للموقع . .

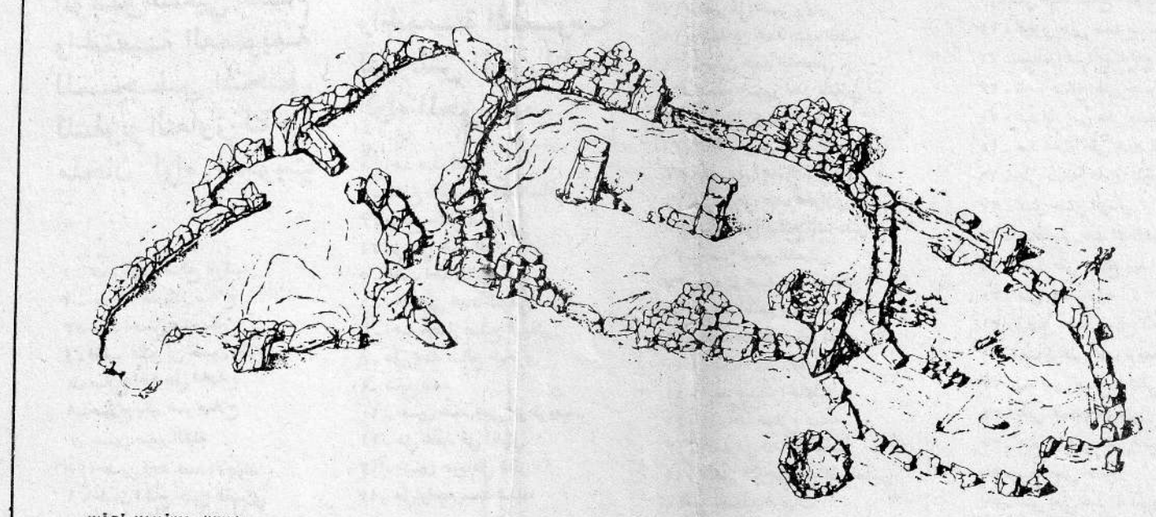

صورة ١٣ : مخطط لاماكن ١ - ٥ بـ WYi .

Fig. 13: Axonometric plan of loci 1-5 at WYi.

ترجمة : عثمان الخليفة

[[يتبع]]

المواقع والمعالم الأثرية في محافظة البيضاء

ضمن نشاطات الهيئة العامة للأثار وتوثيقها ومعرفة ماتتعرض له من مشاكل وما يحيق بها من أخطار بالاضافة إلى اكتشاف المجهول منها والتي لم يرد ذكر لها في المصادر التاريخية والابحاث والدراسات الاثرية ، فقد قامت الهيئة بتكليف فريق فني من الاخوة مختصي الاثار أحمد شجاع الدين وأحمد شمسان واسماعيل الكبسي وذلك لاجراء مسوحات أولية لمواقع الاثار في محافظتي البيضاء وذمار في الفترة من ٣/٤ إلى ٢٤/٣/٨٥م . .

ومحافظة البيضاء لها أهميتها الخاصة بالنسبة للبحث الاثري في عصر ماقبل الاسلام والعصر الاسلامي أيضا ، فقد كانت الامتداد الجغرافي لمملكة قتبان واحلافها من بني معاهر وذي خولان ، كما قامت على ارضها واحدة من الدول الهامة في تاريخ اليمن الاسلامي هي دولة بني طاهر التي اتخذت عاصمتها المقرانه بالقرب من رداع وامتد نفوذها ليشمل اماكن كثيرة في اليمن وحقق ملوكها الكثير من الانجازات في مجالات التشييد والاصلاح خاصة السلطان عامر بن عبدالوهاب الذي أمر ببناء المدرسة العامرية جبن والمدرسة العامرية رداع اللتان تشهدان بها فيهما من زخارف ونقوش ومكتبات قل ان توجد في مكان اخر ، إلى مدى ما وصل إليه الفن الاسلامي اليمني في مجال الزخرفة والعمارة من رقي وتطور وقد شهدت هذه المحافظة خلال هذين العصرين الكثير من الاحداث التاريخية التي لايتسع المجال لذكرها في زمني السلم والحرب وهذا ماتبينه لنا المخلفات الاثرية والاطلال المنتشرة في طول وعرض المحافظة . .

والمتأمل في الخريطة الاثرية اليمنية . . يرى ان المراكز الحضارية الهامة في عصر قبل الاسلام قد اتخذت مواقعها قرب الاودية الكبيرة حيث ان الزراعة كانت عاملا فعالا في ازدهار تلك الحضارات القديمة . . ووادي مرخة واحد من المناطق الاثرية الهامة في محافظة البيضاء وسوف نبدأ به حديثنا عن أهم المواقع والمعالم الأثرية في هذا اللواء والتعريف بمواضعها الجغرافية وملامحها الاثرية . .

وادي مرخة = تقع مرخة إلى الجنوب الشرقي من مدينة البيضاء وتبعد عنها حوالي ١١١كم عبر طريق ترابية وعرة تقطعها السيارة في حوالي سبع ساعات ، وهذه المنطقة غنية بأثارها الممتدة على جانب واديها الخصب وأهم المعالم الاثرية هنا :

١- بيت بيضان

٢- هجر طالب

٣- هجر البركة

٤- هجر لجية

٥- هجر الناب

- موقع بيت بيضان : تقع إلى الغرب من قرية عبرة التي تبعد عن مدينة البيضاء حوالى ٦٧كم , وقد اقيم الموقع على ارضية صخرية وتبدو في الجهة الغربية صخور طبيعية ضخمة استغلت كجدار لبعض الابنية . . وتتضح في الجهة الجنوبية والغربية بقايا اساسات منازل تتراوح بين ٢-٤ مداميك كما تتضح جدران لعدة غرف متجاورة ، وتقع المقبرة الخاصة بالموقع بجواره في الجهة الجنوبية . .

- موقع هجر لجية : تقع على ٣ر٥ كم الى الغرب من قرية العاقر مركز الناحية وتحدها من الشرق قرية العاقر والوادي ومن الغرب وادي اللجية ومن الشمال جبل وراس القريب من الموقع ومن الجنوب جبال منخر ووادي مرخة والموقع بصفة عامة يمثل تلا من ركامات المباني القديمة ويحيط به الوادي من جهاته الاربع وتسكن الموقع حاليا عشر اسر وفي هذا تتأكد عوامل الدمار والخراب للمواقع الاثرية حيث يقوم السكان بتخريب الجدران القائمة والبناء بها كما يقومون بالحفر العشوائي في اجزاء مختلفة من الموقع بغية الحصول على احجار البناء والتحف . . وتتضح في الجهة الشمالي بقايا السور الخارجي لهذا المستوطن ممتدا إلى الشرق وقد شيد بأحجر بسيطة ، كما تتضح في الجهة الغربية معالم بارزة للبوابتين الخاصتين بالموقع وتبدو بجوارهما معالم واضحة لمبان ومنشآت دائرية ربما كانت ابراج حماية ومراقبة ، وفي الجهة الجنوبية توجد بوابة ثالثة تبدو مخططاتها المعمارية واضحة المعالم . .

عثر في هذا الموقع على عدة نقوش استخدمت في بناء منازل القرية الحالية وقد تعرض الكثير منها إلى التلف وطمست معالمه وقد جاء في احد النقوش السليمة :

١- ب ع د ن/ و ب ع ا ب س ر م ا و ذ ت

٢- ش ب ع ن/ و ب ر د أ/ أ م ر أ س م

٣- و ش ع ب س م/ ذ ح ل ز و م

[[يتبع]]

■■ ملحوظة :
المعلومات الواردة في المقال عن تقرير فريق الاثار المقدم إلى الهيئة . .

صورة ١٧ أ : ادوات للسحق و مداق و هاونين من WYi .

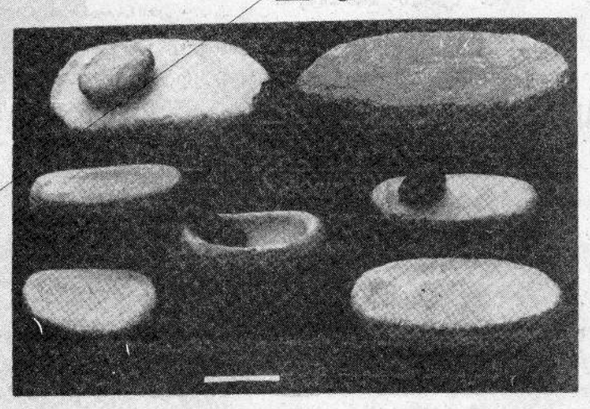

Fig. 17a: Grindstones, mullers, mortars and pestles from WYi.

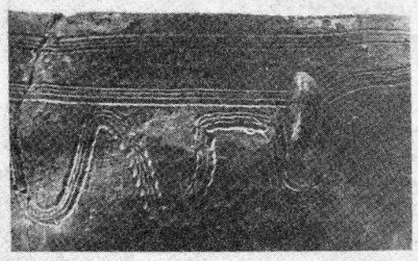

Fig. 17b-c: Deep bowl with impressed decoration from WYi, L 1.

صورة ١٧ ب - ت : اناء بزخارف مطبوعة من WYi مكان ١ .